العدد ٣٩/٢٠١٨

الأحد ٣٠ أيلول

تذكار الشهيد في الكهنة

غريغوريوس أسقف أرمينيا

اللحن الأول

إنجيل السَحَر السابع

الرسالة

(٢ كورنثوس ٩: ٦–١١)

يـا إخـوةُ إنَّ مَـن يـزرعُ شـحـيـحـاً فشـحـيـحـاً أيـضـاً يـحـصُـدُ ومَـن يـزرعُ بِالبركاتِ فبالبركاتِ أيضاً يحصُد* كلُّ واحدٍ كما نوى في قلبِهِ لا عن ابتِئاسٍ أو اضـطرارٍ. فـإنَّ الـلـهَ يُـحبُّ المُـعـطـي المتـهـلِّل* والـلـهُ قادرٌ أن يزيدكم كلَّ نعمةٍ حتى تكونَ لكم كُلُّ كِفايةٍ كُـلَّ حينٍ في كُـلِّ شـيءٍ فـتـزدادوا في كُلِّ عـمـلٍ صالحٍ* كما كُتبَ إنَّهُ بدَّد أعطى المساكينَ فبِرُّهُ يدومُ إلى الأبد* والـذي يَـرزُقُ الزارعَ زرعاً وخُبزاً للقوتِ يَـرزُقكم زرعكم ويكثِّرُه ويـزيدُ غِـلالَ بِـرِّكـم* فتستغنونَ في كُلِّ شيءٍ لِكُلِّ سخاءٍ خالِصٍ يُنشِئُ شُكراً لله.

حول الرسالة

نصّ الرسالة المتلو علينا اليوم مأخوذ من رسالة الرسول بولس الثانية إلى أهل كورنثُس. كما عهدناه دائماً، نرى الرسول في هذه الرسالة يختار مفرداته بإبداع الفنّان ومهارة الصّائغ، وكأننا به يتجاوز، بهذه «الحذاقة» محدوديّة الكلمات. طبعًا هذه قوّة الروح القُدُس، إذ الكلمة هي كلمة الله، والرّوح القُدُس هو مَن اختار بولس إناءً ورسولاً.

يبدأ نصّ اليوم بعبارة «من يزرع شحيحًا» وقد استخدم عبارة «شحيحًا» بدلاً من «قليلاً» لأنّ معناها واضح مُباشَر، لا يحتمل تفسيرًا نسبيًّا كعبارة «قليلًا». ما يُعتَبَر قليلًا بالنّسبة إلى هذا قد يُعتبر كثيراً بالنّسبة إلى ذاك (راجع مر ١٢: ٤١–٤٤)، أمّا الشحّ فمعناه واحد. لهذا، استعمل الرسول أيضًا عبارة «البركات» بدلًا من عبارة «الكثرة». هذا، وفي السياق عينه، استعمل الرسول رمزية «مَن يزرع... يحصُد» بدلًا من تعبير «مَن يُعطي... يَأخذ» المُباشَر لتحمل إلينا كلماته هذه مَعنَيَين: هذا النّوع من الزرع يليه، بطبيعة الحال، إثمار (مِن الله)، وكمّيّة الحصاد هي أوفر، بطبيعة الحال، من كمّيّة البذار المزروعة.

بعد ذلك، يُكمِل الرسول فيقول «كلّ واحد كما نَوى في قلبه»، مُكَمِّلاً لنا مفهوم العطاء كما قدّمه بدايةً. أي أن يكون عطاؤنا مطبوعًا بالمحبّة والسَّخاء، أي بالبركات وغير شحيح، بمعزل عن حساب الكمّيّات. العطاء، في نظر الله، نوعيّ وليس كمّيًّا، ويأتي من القلب لا من الخزنات والجيوب: «لا عن ابتئاس أو اضطرار» أي بملء الإرادة بل وبفرح: «فإنّ الله يحبّ المُعطي المُتَهَلّل». نلاحظ كيف لم يكتفِ الرسول بدرجات السرور العاديّة (المُبتَسِم، الفَرِح...) بل تقصَّد استعمال أقصاها: «المُتَهَلّل». عندما يتهلّل الإنسان يكون فرحه ممتزجًا بالحماسة. الله يفرح كثيرًا متى رأى في الإنسان «حماسة» لمعاضدة الآخر والوقوف إلى جانبه وتبنّي أحزان هذا الآخر و/أو أفراحه.

بالعبقريّة نفسها المؤسَّسَة عند الرسول بولس على قاعدة الغيرة على تعاليم الله ومحبّة الذين يُبَشّرهم، ينتقل من أسلوب النصيحة التربويّة إلى ما يشبه الوعد والتأكيد، لكن بصيغة تشبه الإبتهال إلى الله، مؤكّدًا لسامعيه أنّ الله قادر أن يفيض عليهم من نِعَمِه وأن يحقّق لهم خير اكتفاء، علّهم يزدادون في أعمال الخير والصلاح. كأنّ الرسول بولس يُبعد، بهذا الإبتهال، عن المُتحَمّس للعطاء تجربة الخوف من العَوَز إن كان سخيًّا في عطائه. لذا، لم يقل مثلًا: «الله قادر أن يعطيكم كلّ نعمة» بل: «أن يزيدكُم»، مشدّدًا على مفهوم الزرع والحصاد الذي ابتدأ فيه: الزارع لا يحصد بمقدار ما زرع، بل أكثر بما لا يُقاس. لا بد من الإنتباه إلى عبارة «كلّ كفاية». لم يتحدّث عن الغنى الفائض والكماليّات وغيرها، بل عن الإكتفاء... ليس لأنّ الله يكره أن يكون الإنسان ثريًّا، بل لأنّ فيض الغنى والثّراء، إجمالاً، فخّ شرّير يُبعد الانسان عن الله، تاليًا عن الفضيلة وأعمال الصلاح (راجع لو ١٢: ١٣–٢١ و١٦: ١٣–٣١). لكي لا تُقلِق عبارة «الكفاية» سامعيه، كمّلَها مُضيفًا: «كلّ حين في كلّ شيء» لكي يطمئنّوا إلى حاجاتهم الدنيويّة. ولأنّ الرسول بولس يعلم بالروح القُدُس أنّنا ميّالون إلى منطق «المُقايضة» في علاقتنا مع الله، يختم فكرته هذه بنقلها فورًا إلى مستوى روحيّ رفيع إذ يقول: «فتزدادوا في كلّ عمل صالح». حياتنا كلّها على هذه الأرض، ليس فقط أموالنا وممتلكاتنا، لا معنى لها ولا قيمة البتّة، إن لم نكن في كلّ حين ساعين إلى اقتناء الصلاح. المسيحيّ موجود في هذا العالم ليس لينزوي في أنانيّته وتفاهات يوميّاته بل ليعمل كلّ حين على «بثّ» تعاليم الله (بالفعل لا بالكلام) في العالم (راجع مت ٥: ١٦).

لا يريد الرسول بولس أن يُصغي إليه النّاس كمعلّم أو فيلسوف، أي ألاّ يظهر التّعليم وكأنّه من عنده. لذا، يستشهد بالكتاب المُقَدَّس مُبتَدئًا بعبارة «كما كُتِب»، مقتبسًا من سفر المزامير قَولَه: «بَدَّد أعطى المساكين فَبِرّه يدوم إلى الأبد» (مز١١٢: ٩). لعلّ اقتباسه لهذه الكلمات بالذّات غايته إعادة التّأكيد، مباشرةً من فم الله، على ضرورة العطاء بلا حساب، التي تعنيها صراحة عبارة «بَدَّد» (أو فَرَّق في ترجمات عربية أُخرى). أمّا الأجمل في لجوئه إلى هذه الآية تحديدًا، فهو ما قد توحي به للوهلة الأولى من تناقض، إذ تعني أنّ مَن «يُبدّد» من إحساناته، يبقى إحسانه (برّه) إلى الأبد، بل و«قرنه ينتصب بالمجد». إذاً، مَن يُعطي وفي قلبه شحٌّ يبقى في الشحّ مقيمًا، ومن يترك روح البركة يقوده، فببركات الله يتمجَّد.

ظهور مجد الله في الكتاب المقدّس

«ظَهَرَ إله المجد لأبينا إبراهيم وهو في ما بين النّهرَين قبلما سكن في حارّان وقال له: أخرج من أرضك ومن عشيرتك وهلمّ إلى الأرض التي أريك» (أع ٧: ٢ – ٣).

الإنجيل

(لوقا ٦: ٣١–٣٦)

قال الربُّ كما تريدونَ أن يفعلَ الناسُ بكم كذلك افعلوا أنتم بهم* فإنَّكم إنْ أحببتم الذين يُحبّونَكم فأيَّةُ مِنَّةٍ لكم. فإنَّ الخطأةَ أيضاً يحبُّون الذين يحبُّونهم* وإذا أحْسنتم إلى الذين يُحسِنون إليكم فأيَّةُ مِنَّةٍ لكم. فإنَّ الخطأةَ أيضاً هكذا يصنعون* وإن أقرضْتُم الذين تَرْجونَ أن تستَوْفوا منهم فأيَّةُ مِنَّةٍ لكم. فإنَّ الخطأةَ أيضاً يُقرِضونَ الخطأة لكي يستوفوا منهم المِثْلَ* ولكن أحِبُّوا أعداءَكم وأحْسِنوا وأقرِضوا غيرَ مؤمِّلين شيئاً فيكونَ أجرُكم كثيراً وتكونوا بني العليّ. فإنَّه مُنعِمٌ على غيرِ الشاكرينَ والأشرارِ* فكونوا رُحماءَ كما أنَّ أباكم هو رحيمٌ.

تأمل

«كما كُتبَ إنَّهُ بدَّد أعطى المساكيَن فبِرُّهُ يدومُ إلى الأبد والذي يَرزُقُ الزارعَ

زرعاً وخُبزاً للقوتِ يَرزُقكم زرعكم ويكثّرُه ويزيدُ غِلالَ بِرِّكم» (٢ كور ٩: ٩–١٠).

من خلال هذه الآية يمكننا أن نعجب لحكمة بولس الرسول. بعد أن تكلّم على العطاء المادي والعطاء الروحي، ينتقل إلى المكافأة متكلّماً على الأجر المادي والروحي. تشير جملة «فرّق، أعطى المساكين، برّه يبقى إلى الأبد» (٩:٩) إلى الأجر الروحي (أنظر الآية ٣)، أمّا جملة «سيكثر بذاركم» (٩: ١٠) فتشير إلى الأجر المادي. هنا أيضاً يعود إلى الروحيّات ويُقرنها بالماديّات لأن جملة «ويزيد غلّات برّكم» هي مكافأة روحية.

بهذه الطريقة يزيّن الكلام فيقتلع الخوف الشنيع، الخوف من الفقر عند العطاء، وذلك بتقديمه مثلاً واقعيًّا: لأن الله بعد أن يعطي ثماراً لزارع الأرض، بعد أن يُغدق على أولئك الذين يغذّون الجسد، يُعطي أكثر بكثير أولئك الذين يذّخرون في السموات الذين يهتمّون بالنفس.

يأتي هذا التعبير بشكل صلاة ابتهالية تحثّهم على العطاء أكثر، وتؤكّد لهم المكافأة «سيقدّم ويكثّر بذاركم وينمّي غلاّت برّكم» (٩: ١٠).

تعود جذور مفهوم النبوّة والوحي الإلهيّ في إيمان الكنيسة الأرثوذكسيّة إلى الظهورات الإلهيّة في العهد القديم والتي، من خلالها، يُظهِر كلمة الله غير المتجسّد مجدَ الثالوث القدّوس، ويحرّك تاريخ شعبه. أمّا اليوم، فيعاين أعضاء الكنيسة مجد الكلمة المثلّث الضياء في جسد الإبن، بعد أن عاينه بطاركة العهد القديم في حضوره وظهوره غير المتجسّد.

نجد في الآيتين: «هذه بداءة الآيات فعلها يسوع في قانا الجليل وأظهر مجده فآمن به تلاميذه» (يو ٢:١١) و«قال إشعياء هذا حين رأى مجده وتكلّم عنه» (يو ١٢:٤١)، على سبيل المثال لا الحصر، إشارةً واضحةً إلى مجد المسيح الذي يتماهى، لدى كُتّاب العهد الجديد، مع مجد يهوه الذي عاينه أنبياء العهد القديم. فإنّ كلمة الله غير المتجسّد هو مَن أعلن للأنبياء مجد الله غير المخلوق من قَبل تجسّده: «الله لم يره أحد قطّ، الإبن الوحيد الذي في حضن الآب هو خبّر» (يو ١: ١٨).

يشترك في خبرة ظهور المجد الإلهيّ أنبياءُ العهدَين القديم والجديد. إنّ روح النبوّة يفعل في العهدَين كليهما، مع فارقٍ وحيد هو أنّ تجسّد الكلمة وموت المسيح وقيامته أسبغت على خبرة التمجّد وعطيّته طابعَ الشركة والديمومة التي لا تزول مع موت الجسد. لذا، كما يشهد كاتبٌ مثل القدّيس إغناطيوس الأنطاكيّ (في رسالته إلى أهل فيلاديلفيا)، لم تكن الكنيسة الأولى تفصل العهد القديم عن العهد الجديد، بل كانا كلاهما أداةً للبشارة والشهادة والتعليم.

تقارب الكنيسة الأسفار المقدّسة من حيث هي شهادةٌ للمجد الإلهيّ والوسيلة المساعِدة لبلوغ هذا المجد والعيش فيه. المعيار التفسيريّ للأسفار المقدّسة يبقى خبرة ظهور المجد الإلهيّ للإنسان واتّحاد الإنسان به. هي خبرة تتخطّى الكلمات والمفاهيم. أمّا الإنسان الذي لا يعاين استعلان المجد الإلهيّ، فسبيله الوحيد إلى معرفة مشيئة الله هو الرجوع إلى شهادة الأنبياء والرسل.

إنّ التفسير الصحيح للكتاب المقدّس يختصّ بأولئك الذين اندرجوا في خبرة التمجّد ذاتها التي لكتّاب أسفار العهدَين. إنّ الإنقطاع عن خبرة معاينة المجد الإلهيّ، التي هي أساس النبوّة في شعب الله، أدّى في بعض حقبات تاريخ الكنيسة إلى المماهاة بين عبارات الكتاب ومفاهيمه والإعلان الإلهيّ، الأمر الذي نتج عنه تناسٍ للطابع غير المخلوق للإعلان الإلهيّ وبروز الإتّجاه الفكريّ الذي يكتفي بالتفسير النصّي الحرفيّ للكتاب المقدّس.

لا بدّ في هذا الإطار من التمييز بين استعلان الحقائق التي لا يُنطق بها وبين الصياغة اللّفظيّة المعبّرة عن خبرة الإعلان في كلماتٍ ومفاهيم ضمن نصوص النبوءات. فإنّه، بخلاف مقاربات الإعلان الإلهيّ حيث الله يملي كلماتٍ على البشر الملهَمين، يقدّم التقليد الأرثوذكسيّ مقاربةً مغايرة بالكلّيّة. الله يعلن مجده ومشيئته للأنبياء والرسل الذين ينقلون خبرتهم النبويّة، التي تتخطّى المنطق العقليّ وتتخطّى الحواسّ، إلى أشكالٍ تعبيريّة

تخاطب الحاجات والإمكانيّات الروحيّة لدى الجماعات التي تتلقّى نبوءتهم.

لذا، فإنّ الكلمات والمفاهيم ما هي إلّا قوالب بشريّة تفرضها حاجات إيصال المعنى، أمّا خبرة الظهور الإلهيّ فتتخطّى سائر المفاهيم. خَبِرَ الأنبياء والرسل المجدَ الإلهيّ بلغةٍ لا يُنطق بها: «وَسَمِعَ كَلِمَاتٍ لاَ يُنْطَقُ بِهَا، وَلاَ يَسُوغُ لإِنْسَانٍ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهَا» (٢ كو ١٢: ٤). حتّى عبارات المسيح ذاتها ما هي إلّا وسائل تربويّة روحيّة تقود إلى معاينة مجد الله الذي يتخطّى كلّ مفهوم وشكل، والذي استُعلن بأجلى صوره في تجسّد الكلمة. أمّا الذين لم يختبروا التنقّي والتمجيد فإنّهم يسمعون كرازة المسيح عن ملكوت الله بالأمثال: «لأَنَّهُمْ مُبْصِرِينَ لاَ يُبْصِرُونَ، وَسَامِعِينَ لاَ يَسْمَعُونَ وَلاَ يَفْهَمُونَ» (مت ١٣: ١٣). هكذا، فإنّ كلمات الكتاب المقدّس تحضّر الإنسان وتؤهّله لتلقّي الإعلان الإلهيّ غير المخلوق.

إذًا، لا بدّ من رفض النظرة الحرفيّة الأصوليّة لتفسير الكتاب المقدّس. فقد ساد في بعض الاتّجاهات المسيحيّة مبدأ مماهاة الإعلان الإلهيّ مع نصّ الكتاب المقدّس. هذه المماهاة ترقى بالأسفار المقدّسة إلى سلطة أعلى من الكنيسة. فإننا إذا ما بنينا تفسيرنا على غير خبرة التمجيد نبتدع تقليداً تفسيريّاً منحرفاً لا علاقة له بحياة الكنيسة وإيمانها.

خبرة العنصرة وحدها هي المعيار النهائيّ للتفسير القويم لأنّها أسمى أشكال التمجيد. «هي ترشد إلى جميع الحقّ» بروح الحقّ «وأمّا متى جاء روح الحقّ فهو يرشدكم إلى جميع الحقّ لأنّه لا يتكلّم من نفسه بل كلّ ما يسمع يتكلّم به ويخبركم بأمور آتية. ذاك يمجّدني لأنّه يأخذ ممّا لي ويخبركم» (يو ١٦:١٣–١٥). هي الخبرة المستمرّة لكلّ قدّيسٍ في كلّ زمان يبلغ معاينة مجد الله غير المخلوق في المسيح يسوع. لذا، فإنّ العنصرة وحدها تبقى المعيار النهائيّ للإعلان الإلهيّ. لذلك، لا يُذكر البتّة، في التقليد الكنسيّ المجمعيّ، أنّ اللاهوت أو الإيمان يتوافق مع الكتاب بل «مع الآباء القدّيسين» أي أنبياء العهد الجديد الذين مُجِّدوا بالنّعمة وخَبِروا عنصرة الروح القدس، روح النبوّة، في حياتهم.

استمرار التسجيل

يعلن مكتب التربية المسيحية عن استمرار التسجيل في كلٍّ من مدرسة القديس كوارتوس الرسول للتنشئة اللاهوتية، ومدرسة القديس رومانوس المرنّم للموسيقى الكنسيَّة وجوقة الأولاد Choeur d'Enfants.

يُرجى ممَّن يرغب بالإنضمام الإتصال على الرقمين ٠١/٢٠٣٩٢٤ أو ٧٠/٠٨١٨٩٠

للإطلاع على أخبار الأبرشية:

www.facebook.com/metbei

أو

www.quartos.org.lb

هنا أيضاً لا يسمح أن نطلب أكثر من حاجاتنا. هذا ما نستنتجه من جملة «خبزاً للأكل». هذا، كما قلنا سابقاً، يدعو للإعجاب! فبالنسبة إلى المكافأة المادية لا يسمح بأكثر من الضروري، أمّا بالنسبة للروحيّات فينصح بأن نحصل عليها بوفرة وفيض. ولذلك سبق أن قال: «ولكم كلّ اكتفاء تزدادون في كلّ عمل صالح» (٢ كور ٩: ٨).

هنا يقول أيضاً «والذي يقدّم خبزاً للأكل يكثّر بذاركم»، أي الربح الروحي. يحث على العطاء ويطلب إحساناً بأيدٍ مبسوطة، ولذلك يدعوه زرعاً بصورة متواصلة. ان الزرع يجعل الحقول خضراء. كذلك يُنتج الإحسان ثمار برّ، ثمار إحسان كثيرة، ويوصل إلى نتائج عجيبة.

بعد هذا التضرّع لمثل هذه المكافأة الفيّاضة، يبيّن كيف يجب أن نستهلك مثل هذا الربح قائلاً: «مستغنين في كل شيء لكل سخاء يُنشئ بنا شكراً لله» (٢ كور ٩: ١١). أي أنفقوا ما عندكم بحيث ينشأ شكرٌ لله ومرضاة لله...

القديس يوحنا الذهبي الفم